

العربية اللغة الأولى للمسلمين

بقلم الشيخ عبد الله علي العيسى
وكيل المحكمة الكلية (الكويت)

اللغة بل كانت في روح العقيدة وقوة الايمان بها ويعزز هذا الرأي ان الاسلام في العصور المتأخرة اي في القرون الماضية القريبة حينما انتشر في الشرق الاقصى وبلاد افريقية الشرقية بواسطة التجار المسلمين ، فقد انتشر بدون لغته العربية لعدم وجود السلطة بجانب العقيدة .

اما عن الاستشهاد بواقع بيئتنا الاقليمية وماضيها في حقيقة الامر - لم تكن ماهولة الا منذ اربعمائة سنة تقريبا واما قبلها فكانت تتخذها بعض القبائل العربية ماوى من الفارات التي تشن عليها او ترد عليها بعض القبائل للسقيا من آبارها المعروفة بكازمة والتي يطلق عليها الجهراء في زماننا هذا - فيئة بلادنا حديثة التكوين على انها لم تعرف خلالها لغة لها غير العربية .

(2) العربية لغة (الظاء) وليس كما جاء في استفتائكم بانها لغة (الضاد) فقد ورد في حرف الظاء من لسان العرب ما نصه (روى الليث ان الخليل قال - الظاء حرف عربي خص به لسان العرب لا يشركهم فيه احد من سائر الامم) .

القول بان لغة الظاء ضعفت نتيجة ضعف الوازع الديني والوعي الاسلامي عند الناس قول صحيح يميزه

(1) لقد كانت اللغة العربية قبل اشراق نور الاسلام محصورة بين القبائل العربية المشتتة في شبه جزيرة العرب ، فلما انبثقت الدعوة المحمدية من مهبط الوحي وامتدت الى جزيرة العرب ثم تخطتها الى بلاد الفرس وافريقيا وبلاد الروم - كانت وسيلة الاسلام في نشر الدعوة هي اللغة العربية فاصبحت بذلك لغة الدولة في اقطارها المتباعدة ، وهيء لها ان تكون اللغة الاولى للمسلمين في شتى اقطارهم وعلى اختلاف لغاتهم، فالاسلام عندما اتخذ اللغة العربية وسيلة لنشر الدعوة انما اسدى لها اجل خدمة تقدم لاية لغة ذلك انها في خلال مائة عام اصبحت لسان تلك الامم التي فتحت بلادها حتى ان مفكرى البلاد الاعجمية الذين اعتنقوا الاسلام كانوا يتبارون في التأليف بلغة القرآن .

وهكذا كانت اللغة العربية مرتبطة بالاسلام رابطة التابع بالتبوع، وليست رابطة السبب بالمسبب التي تكون نتيجةها - لولا العربية لما كان الاسلام - فاللغة العربية نشطت تبعا لنشاط الدعوة الاسلامية ولولا ذلك لبقيت لغة لبعض القبائل العربية ولعلها بدون الاسلام كانت قد اندثرت ، فالقول بأنه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر قول صحيح اما العكس فلا ، ذلك ان قوة الاسلام لم تكن فسي

اللغة وزعزعتها في النفوس وابعاد الاجيال عن لغة قرآنهم ودينهم .

3) اما مدى تأثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن في اللهجات او اللغات الاقليمية غير العربية فلا شك ان لغة القرآن التي اكتسحت اللغات الاقليمية في غير البلاد العربية ايام الفتح الاسلامي ، اثرا كبيرا على تلك اللغات فبعضها اندثر وحلت اللغة العربية مكانه والبعض اختلف الى ان انحسر ظل الحكم العربي الاسلامي عنها فظهرت تلك اللغات الى الوجود بفعل العصبية والشعوبية ولكنها بالرغم من ذلك لم تكن كما كانت في الاصل بل خالطتها العربية في كثير من الفاظها ومثالنا على ما نقول اللغة الفارسية التي يعتقد ان اربعين بالمائة من الفاظها المستعملة حاليا هي الفاظ عربية فضلا عن ان الحروف المستعملة في الفارسية الحديثة حروف عربية ، اما عن السوالين الاخيرين فان لغتنا الاقليمية لغة عربية لا تخفى على اي عربي وان ما نتمناه للغة العربية في بلادنا وسائر بلاد العروبة ان تظل في المقدمة وان تكون اللغة الاولى لا ينازعها منازع .

انك اليوم تجد اكثر المثقفين العرب لا يستطيع احدهم ان يكتب مقالا الا وخلفه مصحح لسوي يقتني اثر هفواته ويتدارك اخطائه - وكذلك تجد الغالبية العظمى من خريجي جامعاتنا العربية ما ان يكتب صفحة واحدة حتى تحصى عليه من الاخطاء اللغوية بل والاملائية ما يحيرك - واذا اردت العجب العجاب فحاول مع احدهم ان يقرأ لك من المصحف ما تيسر ، مع ان هذا الحكم ليس عاما فيمن نشأ في بيئة متدينة او ثقافتها دينية .

اما عكس هذا القول - وهو ان الوازع الديني يتبع اللغة فان هي قويت تمكن الوازع الديني من النفوس واشتد وان ضعفت ضعف - فهو في رأيي غير صحيح والشاهد على ذلك ما تجده في بعض امم الاسلام من غير العرب فتجدهم متحمسين للعقيدة وتمسكين بها مع عدم معرفتهم للعربية - ويجدر في هذا المقام ان ننوه بأن للعربية مكانة عظيمة في الاسلام ولو لم يكن لها فخر على غيرها الا نزول القرآن بها لكان ذلك اعظم واكبر فخرا - وما يجري في ايماننا هذه من دسائس ومحاولات لابعاد العرب عن لغتهم كاستبدال حروفها باللاتينية انما يقصد به انهالك

